الفهرس

مقدمة ٣

تمهيد وبحث ٥

الكلمات واللغة ٥

هل ترك الآب الابن؟ قراءة في الكتاب المقدس. ١١

هل ترك الآب الإبن؟ شرح آباء الكنيسة ١٦

النصوص المترجمة ٢٩

العلامة ترتليان: ضد براكسياس، الفصل الثلاثون ٢٩

العلامة أوريجانوس ٣١

القديس أغسطينوس ٣٢

يوستين الشهيد في حواره مع تريفو. ٣٥

القديس يوحنا ذهبي الفم..... ٣٧

القديس أمبروسيوس ٤١

القديس غريغوريوس النزينزي الناطق بالإلهيات ٤٦

مقدمة

كم كنت اســـتعجب حين أقرأ في الإنجيل قول إلهنا له المجد: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟". وقد كان التعجب في أكثر من جانب: فأولاً كيف يقول المســـيح الإله هذه الجملة؟ كيف يقول "إلهي" وهو الإله؟ كيف يقول "تركتني" وهو واحد مع الآب؟ ثم اســـتعجب أكثر من كاتبي الأناجيل؛ لأنهم إذا كانوا يريدون أن يبشروا بالمسيح الإله المخلص، لماذا يكتبون مثل هذه الآيات التي تُظهر ضـــعف شـــديد، بل ويمكن أن تُنَفر البعض من قبول الإيمان؟

وبعد زمن، وبعد قراءة إيمان أباءنا القديسين الذي سلموه بخصوص هذه الآية ومثيلاتها، وجدت فيها سر لخلاص الإنسان، وتعزية تفوق كل تعزية، واتحاد يفوق الوصـف بين الله والبشـر. فقد نزل المسـيح إلى أدنى درجات الإخلاء وأصبح واحداً منا، وصرخ بصوتنا لكي يُبطل العداوة القديمة.

هذه الآية بالذات لخصت قضية الفداء، وشرحت الإيمان المسيحي. بهذه الصـــرخة جعل المســـيح الإثنين واحداً من جديد؛ أي الســـماء والأرض. وبهذه الصـــرخة وجه أنظار ابنه البكر إســـرائيل أن ما كُتِبَ في القديم، إنما كُتِبَ عنه ومن أجله. ووجه أنظار العالم إلى تدبير الله للفداء من قبل

تأســـيس العالم. فالروح قال هذه الآية في المزمور قبل الميلاد بقرون عدة، وها هي تظهر الآن في حياة المســـيح لامعة وواضـــحة دون أي بهتان أو صعوبة للعقل المتيقظ.

الله يجعل هذا الكتيب سبب بركة وعشرة لله الآب والإبن والروح القدس، بصــلوات أبينا رئيس الأســاقفة البابا الأنبا تواضــروس الثاني وشــريكه في الخدمة الرسولية الأسقف المكرم الأنبا هرمينا.

١٨ بشنس ١٧٣٥ – ٢٥ مايو ٢٠١٩

نياحة القديس إبيفانيوس أسقف سلاميس – السبت الرابع لعيد القيامة

تمهيد وبحث

كلماتٌ قليلة قالها ربنا يسوع على خشبة الصليب، ولكن بهذه الكلمات أَعلن الخلاص للعالم. ومن هذه الكلمات القليلة جملة حيرت الكثيرين من المؤمنين وغير المؤمنين وهي: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" والمذكورة في متى ٢٧: ٤٦، ومرقس ١٥: ٣٤. وبالرغم من أن هذه الجملة تحمل سطحياً معنى يناقض ما يؤمن به المسيحيون إلا أنها في أعماقها تحمل إيماناً وحباً وبذل شديد قد وضحه لنا آباء الكنيسة.

سنبدأ في هذا التمهيد ببحث كلمات الآية واللغة المكتوبة بها، كيف قالها المسيح وسمعها اليهود. بعد ذلك سنقرأ، من خلال الإنجيل نفسه، هل ترك الله المسيح المصلوب؟ أو بكلمات أخرى، هل ترك الآبُ الابن فعلاً؟ ثم بعد ذلك سنتطرق إلى صُلب هذا الكتاب وهو كيفية فِهْم الآباء هذه الكلمات الأخيرة للمسيح.

الكلمات واللغة

نقرأ في الأناجيل نسختين للجملة التي قالها المسيح مستشهداً بما قيل في مزمور ٢٢ والذي يُعد نسخة ثالثة من هذه الجملة؛ ففي مَتَّى ٢٧: ٤٦ نقرأ الآتي:

"وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «**إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟**» **أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟**"

And about the ninth hour Jesus cried with a loud voice, saying, **Eli, Eli, lama sabachthani? that is to say, My God, my God, why hast thou forsaken me?** (KJV).

περὶ δὲ τὴν ἐνάτην ὥραν ἀνεβόησεν ὁ Ἰησοῦς φωνῇ μεγάλῃ λέγων· **ηλι ηλι λεμα σαβαχθανι; τοῦτ᾽ ἔστιν· θεέ μου θεέ μου**, **ἱνατί με ἐγκατέλιπες**; (BGT)

وأما في **مرقس** ١٥: ٣٤ فنقرأ الآتي:

"وَفِي السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «**إِلُوِي، إِلُوِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟**» **اَلَّذِي تَفْسِيرُهُ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟**"

And at the ninth hour Jesus cried with a loud voice, saying, **Eloi, Eloi, lama sabachthani?**

which is, being interpreted, My God, my God, why hast thou forsaken me? (KJV)

καὶ τῇ ἐνάτῃ ὥρᾳ ἐβόησεν ὁ Ἰησοῦς φωνῇ μεγάλῃ· **ελωι ελωι λεμα σαβαχθανι; ὅ ἐστιν μεθερμηνευόμενον· ὁ θεός μου ὁ θεός μου**, **εἰς τί ἐγκατέλιπές με**; (BGT)

أما في مزمور ٢٢: ١ والمكتوب باللغة العبرية فنقرأ الآتي:

"إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟"

My God, my God, why hast thou forsaken me? (KJV)

אֵלִ֣י אֵלִ֣י לָמָ֣ה עֲזַבְתָּ֑נִי (WTT) وتُنطق كالآتي: إيلي، إيلي، لَمّا عذابتاني[1].

[1] https://www.youtube.com/watch?v=-yyhv_Kfx5U

وبذلك نرى الإختلافات التالية:

١. "إيلي" في نسخة مَتَّى والمزمور[٢]، أما **مرقص** فيذكر "إلوي".
٢. "لما" نقرأها في العربية واليونانية "لِما LEMA" أي لماذا، ولكن نص مرقص الإنجليزي و النص العبري يكتبها "لَما LAMMA".
٣. "شبقتني" أو "سبقتني" تُعتبر كلمة واحدة ونجدها في مَتَّى **ومرقص**، أما المزمور فينطقها "عذابتاني azabhtany" وهذا هو نطقها فقط ولكنها لا تعني "عذبتني" بالعربية، بل إن الكلمة نفسها في العبرية تعني: يترك أو يغادر أو يفك.[٣]

❖ نبدأ بكلمة "إيلي אֵלִי". وهذه الكلمة العبرية في أصلها {**إيل**} بدون إضافة ياء الملكية، تُترجم بعدة معاني[٤] أهمها وأكثرها استخداما في العهد القديم هو الإله (الواحد والحقيقي لإسرائيل).

---

[٢] تُنطَق بدون الضغط على الياء الأولى لذلك فأفضل طريقة لكتابتها هيEli

[3] leave, forsake, loose. *Brown, Driver, Briggs Hebrew and English Lexicon*, Hendrickson Pub (1996).

[4] Brown, Driver, Briggs Hebrew and English Lexicon, Hendrickson Pub (1996).

ويذكر أحد القواميس[٥] أن هذه الكلمة من أصل سامي مشترك بين اللغات السامية، ولذلك فهي تتشابه في العبرية والآرامية وحتى العربية (إيلي = إلهي). أما عن ذكر **مرقص** لفظ "إلوي" فهو اللفظ الآرامي للكلمة العبرية "إيلي"[٦].

❖ أما كلمة "لما" فالنطق الأصح لها هو "لَمّا". وهذا ما تكتبه الترجمة الإنجليزية في **مَتَّى ومرقص**. وحتى في اليونانية التي تكتب λεμα "لِما"، فإن القواميس اليونانية الكتابية أجمعت أنها كلمة آرامية وعبرية وليست يونانية، ويجوز نطقها "لَما"[٧]، وقد أضاف بعض من هذه القواميس نطقها بالشدّة على حرف الميم LAMMA.

---

[5] "very old Semitic term for deity" *Holladay Hebrew and Aramaic Lexicon of the OT.*

[6] ηλι (a Hebrew term meaning 'my God'); ελωι (an Aramaic term meaning 'my God') *Louw-Nida Lexicon.* Also, "It is a transliteration of the Aramaic translation of Ps 22:2a" *Balz-Schneider Exegetical Dictionary of the NT.*

[7] Friberg Analytical Greek Lexicon; Bauer-Danker Greek-English Lexicon of the NT; Liddell-Scott Greek Lexicon; Thayer Greek-English Lexicon of the NT; Balz-Schneider Exegetical Dictionary of the NT.

كذلك أجمعت القواميس على معنى الكلمة في الآرامية والعبرية وهو: "لماذا".

- ❖ أخيراً نقرأ كلمة "شبقتني" والتي هي نفسها كلمة "سبقتني". وهذه الكلمة هي كلمة آرامية وتعني "تركتني" إلا أنها أظهرت أن المسيح على الصليب لم يقتبس النص العبري كاملاً بشكله المكتوب[٨]، بل إقتبسه بشكل مفهوم للعامة الواقفين[٩].

إذا نجد أن المزمور ٢٢ قد كتب الآية بالكامل باللغة العبرية وهذا منطقي جداً لأن لغة المزامير الأساسية هي اللغة العبرية، أما مَتَّى فاحتفظ بلفظ "إلهي" بالعبرية كما هو، ولكنه كتب "تركتني" بالآرامية. أما مرقص فكتب الآية كاملة بالآرامية. وإني أُرَجِحُ أن المسيح قالها كما كتبها **متى**. لأن

---

[8] "σαβαχθάνι (also σαβαχθανεί); Aram. שְׁבַקְתַּנִי instead of the Hebr. עֲזַבְתָּנִי Ps 22:2" *Bauer-Danker Greek-English Lexicon.* Also "The cry from the cross quotes a¹zab in the Aramaic translation sh¹baq." *Harris et als, Theological Wordbook of the OT.*

[٩] من المعروف أن الشعب اليهودي كان يتحدث العبرية إلى وقت ازدهار ممالك ما بين النهرين وخصوصاً أثناء السبي البابلي. ومنذ ذلك الوقت وحتى القرن الأول الميلادي أصبحوا يتكلمون اللغة الآرامية والتي تكلمها السيد المسيح نفسه. لذلك فإن أغلب كتب العهد القديم مكتوبة بالعبرية، ولكن الشعب في عصر ظهور المسيح في الجسد كان يتكلم الآرامية.

اليهود الواقفين –الذين يفهمون الآرامية– سمعوا "إيلي" ولم يفهموا القصد، بل ظنوا أنه يخاطب إيليا، وذلك لأنها كلمة عبرية يبدأ بها المزمور المكتوب بالعبري. ثم أكمل بلغتهم المفهومة (الآرامية) وقال "لما شبقتني".

هل ترك الآب الابن؟ قراءة في الكتاب المقدس.

نقرأ في إنجيل لوقا كلمة هامة من كلمات المسيح على الصليب وهي: "«يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي». وَلَمَّا قَالَ هذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ." (لو ٢٣: ٤٦). فإذا صدقنا كلمة "لماذا تركتني؟" التي ندرسها في هذا الكتاب، فعلينا أن نصدق كلمة "في يديك أستودع روحي". وإذا أيقنّا أن الكلمتين صادقتين، فكيف يمكن أن يتركه أبوه ثم يستودع الابن روحه بين يدي الآب؟ لذلك، فمنطقياً نجد أنه إما أن أحد هذه الكلمات كاذبة، وحاشا للمسيح أن يكذب، أو أن أحدها له معنى أعمق بكثير من المعنى الظاهري، وهو ما سندرسه في هذا الكتيب.

ثم كيف يترك الآبُ الابن وقد كرر المسيح نفسه، في أكثر من موضع، أنه في الآب والآب فيه فيقول: " أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ" (يو ١٠ :٣٠)، "أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟" (يو١٤: ١٠)، "هُوَذَا تَأْتِي سَاعَةٌ، وَقَدْ

أَتَتِ الآنَ، تَتَفَرَّقُونَ فِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى خَاصَّـــتِهِ، وَتَتْرُكُونَنِي وَحْدِي. وَأَنَا لَسْتُ وَحْدِي لأَنَّ الآبَ مَعِي." (يو١٦: ٣٢).

بل وشهادات الأنبياء قديماً ورسل المسيح تثبت ذلك لأنه هو الذي قيل عنه: "لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَادًا." (مز ١٦: ١٠). وقد اقتبس بطرس في عظته الأولى في أع ٢: ٢٧ هذه الآية، لكي يبشر اليهود والأمم الآتين إلى أورشليم بقيامة المخلص، كما أشار بولس إلى نفس الآية أيضاً.

بل وإذا تأملنا في قصص الكتاب المقدس، لا نجد أن الله ترك حتى الخطاة، بل إنه وعد آدم بالفداء، وأعطاه شيث من بعد هابيل. لم يترك الله قايين بل حَذَّره من الخطية قبل ارتكابها، وحتى بعدها أعطاه علامة لكيلا يهلك. لم يترك اللهُ منسى الملك الشرير التائب، حتى أن الله لم يترك آخاب الملك المتمادي في الشـــر بل يقول لإيليا بحنو لا مثيل له: " هَلْ رَأَيْتَ كَيْفَ اتَّضَعَ أَخْآبُ أَمَامِي؟ فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قَدِ اتَّضَعَ أَمَامِي لاَ أَجْلِبُ الشَّرَّ فِي أَيَّامِهِ" (مل ٢١: ٢٩). لم يترك الله يونان الذي لم يطعه ولا ترك شعب نينوى المستبيح بل يناقش يونان بكل أبوة: "أَفَلاَ أُشْفِقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنِ اثْنَتَيْ عَشَـــرَةَ رِبْوَةً مِنَ النَّاسِ

الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ يَمِينَهُمْ مِنْ شِمَالِهِمْ، وَبَهَائِمُ كَثِيرَةٌ؟". كيف يمكن لعاقل أن يظن أن الآب يترك الابن وهو لم يترك الإنسان في أشر أفعاله.

لذلك يمكننا بثقة أن نقول إن الكتاب المقدس بعهديه يرفض فكرة تَرك الآب للابن. ولكن نجد أن هذه الآية التي قالها المسيح موجودة في بداية مزمور ٢٢. فماذا يقول هذا المزمور؟ سأقتبس هنا بعضاً من آيات المزمور ٢٢ التي أشارت، بوضوح لا نظير له، للسيد المسيح، إلا أن الشرح الكامل للمزمور ليس في مجال هذا الكتاب.

١ إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي، بَعِيدًا عَنْ خَلاَصِي، عَنْ كَلاَمِ زَفِيرِي؟ ... ٤ عَلَيْكَ اتَّكَلَ آبَاؤُنَا. اتَّكَلُوا فَنَجَّيْتَهُمْ. ٥إِلَيْكَ صَرَخُوا فَنَجَوْا. عَلَيْكَ اتَّكَلُوا فَلَمْ يَخْزَوْا. ٦ أَمَّا أَنَا فَدُودَةٌ لاَ إِنْسَانٌ. عَارٌ عِنْدَ الْبَشَرِ وَمُحْتَقَرُ الشَّعْبِ. ٧ كُلُّ الَّذِينَ يَرَوْنَنِي يَسْتَهْزِئُونَ بِي. يَفْغَرُونَ الشِّفَاهَ، وَيُنْغِضُونَ الرَّأْسَ قَائِلِينَ:٨ «اتَّكَلَ عَلَى الرَّبِّ فَلْيُنَجِّهِ، لِيُنْقِذْهُ لأَنَّهُ سُرَّ بِهِ».

كيف تطابقت هذه الآيات مثل هذا التطابق العجيب على ما حدث. ذكر معلمنا متى أن الرومان "بَصَقُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى

رَأْسِهِ. وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الرِّدَاءَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ، وَمَضَوْا بِهِ لِلصَّلْبِ." (متى ٢٧: ٣٠-٣١) أما اليهود الواقفين أمام الصليب قالوا: "قَدِ اتَّكَلَ عَلَى اللهِ، فَلْيُنْقِذْهُ الآنَ إِنْ أَرَادَهُ!" (متى ٢٧: ٤٣).

١١ لاَ تَتَبَاعَدْ عَنِّي، لأَنَّ الضِّيقَ قَرِيبٌ، لأَنَّهُ لاَ مُعِينَ.١٢ أَحَاطَتْ بِي ثِيرَانٌ كَثِيرَةٌ. أَقْوِيَاءُ بَاشَانَ اكْتَنَفَتْنِي.١٣ فَغَرُوا عَلَيَّ أَفْوَاهَهُمْ كَأَسَدٍ مُفْتَرِسٍ مُزَمْجِرٍ... ١٦ لأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَتْ بِي كِلاَبٌ. جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي. ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ.١٧ أُحْصِي كُلَّ عِظَامِي، وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيَّ.١٨ يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ.

أحاط بالمسيح أقوياء الشعوب كلها وهم الرومان، واستهزأوا به، وليس هناك تطابقاً أكثر من الآيات ١٦ – ١٨ مع ما حدث مع المسيح من ثقب ليديه ورجليه، وأنهم لم يكسروا عظامه مثل كل المصلوبين، بل ولا أظن أن الدقة المتناهية في ذكر حادثة اقتسام الثياب والاقتراع على اللباس تحتاج إلى شرح أكثر.

١٩ أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ، فَلاَ تَبْعُدْ. يَا قُوَّتِي، أَسْرِعْ إِلَى نُصْرَتِي... ٢٢ أُخْبِرْ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي. فِي وَسَطِ الْجَمَاعَةِ أُسَبِّحُكَ.٢٣ يَا خَائِفِي الرَّبِّ سَبِّحُوهُ! مَجِّدُوهُ يَا مَعْشَرَ ذُرِّيَّةِ يَعْقُوبَ، وَاخْشَوْهُ يَا زَرْعَ إِسْرَائِيلَ جَمِيعًا!٢٤ **لأَنَّهُ لَمْ يَحْتَقِرْ وَلَمْ يُرْذِلْ مَسْكَنَةَ الْمِسْكِينِ، وَلَمْ يَحْجُبْ وَجْهَهُ عَنْهُ، بَلْ عِنْدَ صُرَاخِهِ إِلَيْهِ اسْتَمَعَ.**

مَن مِن البشر يمكن أن يحدث معه ما كتبه المزمور ثم ينادي بتسبيح الله وتمجيده؟ كيف لا نقف مقشعرين أمام سر هذا المزمور الذي يقرأه اليهود إلى اليوم ولا يفهمونه؟ كيف يمكن أن نقول إن الآب قد تركه بسبب الآية الأولى في هذا المزمور، ثم نرجع الآن في آية ٢٤ ونقول إنه لم يتركه **ولم يحجب وجهه عنه؟** بل ويضيف قائلاً إن الله سمع إليه عند صراخه! فواضحٌ جداً أن هناك غرض لهذه الآية في ذلك الموضع، وواضحٌ أيضاً أن هذا المزمور من المزامير المسيانية التي تنطبق وبقوة على المسيا.

هل ترك الآب الإبن؟ شرح آباء الكنيسة[١٠]

اتفق الآباء جميعاً باختلاف مدارسهم الفكرية أن الله الآب لم يترك الله الكلمة لحظة واحدة ولا طرفة عين، ولا أن اللاهوت فارق المسيح وهو على الصليب وهو ما يشهد به الكاهن في الاعتراف الأخير في القداس الإلهي قائلاً: "بالحقيقة أؤمن أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين." إلا أن آباء الكنيسة تَعَمَّقوا في إدراكهم لسر هذه الكلمات العجيبة، وشرحوها من خلال تقليدهم المستلم من الآباء الرسل نفسهم. وفي شروحات أولئك القديسين سنجد جوانب كثيرة لشرح سر الكلمات وسر الفداء؛ الأمر الذي ينبغي ألا نظن أننا قد نستهلكه شرحاً أو يمكن أن نكتفي بوجهة نظر واحدة لفهم عمقه، بل يجوز أن نقول إن العشرة الحقيقية لأولئك القديسون قد جعلتهم يكتبون لنا ما استطاعوا أن يصفوه بالكلمات فقط، أما ما في إدراكهم داخل مخادعهم وفي صلواتهم، فالأمر سري جداً. كما يجوز أيضاً أن نقول إن كل إسهاماتهم وشروحاتهم تعد لا شيء بالنسبة لما في عقل الله وتدبيره للإنسان، وأنه من حنوه سمح لبعض

---

[١٠] في شرح الجزء التالي سيتم التفرقة بين الترجمات العربية التي تمت بواسطة مراكز آخرى عن طريق العلامة (†) في أول السطر، وسيتم اقتباس جزء صغير منها للشرح مع الإشارة للمرجع. أما ما تم ترجمته عن طريق الكاتب فسيبدأ بالعلامة (‡).

الأفكار أن تنسـاب على ألسـنة أولئك المسـتأهلين لإدراكها. لذلك لا نتخيل ونحن نقرأ أفكار القديسـين المختلفة حول هذه الآية أنهم يناقضـوا بعضهم بعضاً، بل أنهم يشرحون أوجه مختلفة لنفس العمل الفدائي العظيم الذي لا يكفيه كتب العالم لسبر غوره.

(‡) ظهرت بعض الأفكار التي نادت بوحدانية الإله المصـمتة، حيث لا وجود للثلاثة أقانيم، وبعض ممن نادوا بهذه الفكرة للأسـف كانوا داخل الكنيسـة، وقد اختلفت مسـمياتهم تبعاً للوصـف الدقيق للهرطقة. فمثلاً نادت المونـاركيـة Modalistic Monarchianism أن الله واحـد ولكنه ظهر في صـورة الآب في العهد القديم، وصـورة الابن في التجسـد، وحالياً في صـورة الروح القدس. وَصَـفَ سـابيليوس هذا الأمر بأنه بدعة ولكنه وقع في هرطقة آخرى، فنادت السـابيلية أن الآب والابن والروح القدس هي مجرد صفات لنفس الإله. وهنا يظهر العلامة ترتليان في شرحه للثالوث. وَجَّهَ ترتليان أحد كتبه ضـد شـخص اسمه براكسـياس والذي قد نادى أن الآب والابن واحد وحدانية مصـمتة، فقد كان يرى براكسـياس هذا أن الآب تجسد من العذراء مريم، وهو الذي تألم وصلب و.... ويُعتبر

كتاب العلامة ترتليان ضد براكسياس من أهم الكتب التي توضح التعليم عن الثالوث بوضوح في فترة ما قبل نيقية.

أما بخصوص الآية محل البحث فنجد أن العلامة ترتليان يستفهم من براكسياس عن كيفية قول المسيح: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" إن كان هو نفسه الآب. فلمن إذا وجه كلامه؟ ثم يشرح العلاقة الثالوثية في الفداء، وبالأخص دور الابن ودور الآب في الفداء، لكي يميّز بين الأقانيم وأدوارهم في الفداء، وهدفهم وإرادتهم الواحدة. وفي وسط شرحه يقوم بتفسير كيفية قول الابن: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" فيقول إن الآب ترك الابن أي أنه لم ينجه من موت الجسد، بل لم يشفق على ابنه بحسب قول بولس الرسول. فالصوت القائل "لماذا تركتني؟" كان صوت الإنسان الذي يموت وليس صوت الكلمة الإله المتحد بالآب الإله.

(‡) أما العلامة أوريجانوس فله شرح خاص يخص هذا الترك، فيقارن بين **الكلمة** وهو في صورة الله غير المرئية، وبين المسيح وهو في صورة العبد الذي مشى بين الناس، ثم يصف هذا بأنه تَرْك. ويقول إن قمة هذا الترك نجدها في المسيح الذي هو في صورة العبد وهو مُهان ومذلول ومصلوب.

فإذا قارنت بين مجد الكلمة كإله، وبين احتقار البشر للمسيح المصلوب المهان حتى من اللصوص، ستفهم معنى التَرْك المقصود.

(‡) إله الآلهة كان مخفياً هناك في هذا الجسد، يكررها أغسطينوس وهو يشرح أن المسيح أخذ لنفسه شكل العبد، فلماذا لا يأخذ صوت ذلك العبد (آدم) الذي أخطأ ومات نتيجة مفارقة الروح القدس له. فاستعار المسيح صوت العبد وصرخ نيابة عن البشرية التي حملها في جسده طالباً التجديد للبشرية. وهذا الكتاب يحوي قطعتين للقديس أغسطينوس في تفسيره للمزمور ٣٨ والمزمور ٥٠ وكلاهما يكملان بعضهما البعض لشرح عبارة الترك. إلا أنه في رسالة آخرى[11] للقديس أغسطينوس، نجد أنه يشرح أن المسيح تُرِكَ بالفعل، فيقول إن المسيح تُرك فعلاً لأن طلبته (أن يعبر عنه هذه الكأس) لم تُمنح في الحال. قد يشابه هذا الطرح شرح ترتليان في أن الآب ترك الابن يتألم ولم ينقذه، إلا أن أحداً من آباء الكنيسة الجامعة لم يشارك في هذا الشرح بخصوص الترك.

[11] LETTER 140, TO HONORATUS 6; *Ancient Christian Commentary II: Mark, InterVarsity Press Downers Grove, Illinois*

وبذلك نجد أن ترتُليان وأوريجانوس وأغسطينوس عَلَّموا بأن الترك قد حدث فعلاً ولكن لم يقترب أحدهم من ترك الآب للابن أو ترك اللاهوت للناسوت بل أن كل منهم شرح الترك بشكل آخر.

(‡) دافع القديس يوستين الشهيد دفاعاً قوياً عن الإيمان المسيحي للرابي اليهودي تريفو. ومن ضمن ما ذكر له من أسانيد تشرح أن يسوع هو المسيح الذي ينتظره اليهود، ذكر المزمور ٢٢. وشَرَح أن هذا المزمور لا يمكن أن ينطبق إلا على شخص ربنا يسوع المسيح. وأما بخصوص الآية الأساسية لهذا الكتاب فيقول: "**أنه قد صار بالحقيقة إنسانًا مُعرَّضًا للألم.**"، ولكن هذا لم يحدث بدون قصد المسيح أو بجهل منه.

(‡) قدم القديس يوحنا ذهبي الفم تفسيراً كاملاً للأربعة أناجيل، ومنها يَعرض هذا الكتيب جزء من العظة ٨٨ الخاصة بالآيات ٤٥ إلى ٤٨ من إصحاح ٢٧ لإنجيل متى. وقد وَجَدتُ أن هذه العظة مترابطة في كثير من أجزائها، لذلك نقلت إلى اللغة العربية جزء كبير منها. فهو يتحدث عن أن الصليب والظلمة كانت أكثر العلامات التي تُشير أن هذا هو ابن الله. وحتى اللحظة الأخيرة من حياته على الأرض كان أميناً لما لأبيه وتفوه بكلمات المزمور ال ٢٢ مشيراً بذلك أنه حتى لحظاته الأخيرة كان له

نفس الغرض والذهن مع الله أبيه. فغرض الظلمة وغرض الكلمات في هذا الوقت هو أن يُحرك قلوب صالبيه ليفهموا ويدركوا أنه هو ابن الله. فهو إلى آخر لحظة يُكرِم الآب ويتكلم بنفس كلامه الذي كَلَّم وتكلم به الأنبياء في العهد القديم.

وبذلك نجد أن القديس يوستين والقديس يوحنا ذهبي الفم اهتموا اهتماماً خاص بذكر المزمور وأهميته في هذه الساعة من الصليب وأنه كان من المهم أن ينطق المسيح بهذه الكلمات لكي يُذَكّر اليهود بهذا المزمور.

(†) شرح القديس الأثناسيوس الرسولي سفر المزامير[١٢]، وفي شرحه للمزمور ٢٢ (مزمور ٢١ في الترجمة السبعينية التي كانت بين يديه) يقول الآتي:

["إلهي إلهي التفت إلي، لماذا تركتني؟" يطلب (المسيح) لأجل التفات الآب **بعدما نقل إلى نفسه ما يخصنا**، لكي يوقف اللعنة

[١٢] ترجَمَت مؤسسة القديس أنطونيوس (المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية) حتى الآن تفسير القديس أثناسيوس الرسولي لأربعين مزمور في جزئين، والاقتباس هنا من الجزء الثاني (من اصحاح ١٦ إلى ٤٠).

وليعيد إلينا وجه الآب. لأنه قد انصـــرف عنا وتركنا بســـبب المخالفة التي في آدم]

بإختصارٍ شديد شرح لنا القديس أثناسيوس إيمان الكنيسة كما ترتله في ثيؤطوكية الجمعة قائلة: "هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له". فلما أخذ طبيعتنا البشرية، استعاد لنا نور الآب. والقديس أثناسيوس لا يقصد أن الله ترك البشرية تماماً بعد المخالفة، بل هو يقصد تسليم قديم في كنيسة الإســكندرية (وغيرها من الكنائس الأرثوذكســية) أن الروح القدس فارق آدم من بعد الخطية، ثم بحضور المسيح في الجسد، أنعم علينا ثانية بحلول الروح القدس[١٣]. ولكن الله الآب لم يتركنا عنه إلى الانقضـــاء، بل تعهدنا دائماً بأنبيائه القديسين كما سلمتنا الكنيسة في القداس الباسيلي.

(†) يشرح القديس هيلاري أسقف بواتييه في عمله الرئيس "عن الثالوث" في إثنى عشــر كتاباً[١٤] الإيمان الرســولي بتجســد المســيح، وخاصــة كتابه

[١٣] يمكن مراجعة كتاب "إيمان الكنيسة حول آية: وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ." للكاتب.

[١٤] تم ترجمة الإثنى عشــر كتاباً بواســطة راهب من دير الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر. وقد فَضَّـــلت أن أكتب رأي القديس هيلاري في التمهيد، أما عن النص الكامل، فيفضل الرجوع للترجمة الكاملة حيث أن شرحه طويل لهذه النقطة تحديداً.

العاشـر، الذي شـرح فيه سـبب قول المسـيح هذه الجملة. يبدأ القديس هيلاري شرحه بتفنيد إدعاءات الهراطقة من انفصـال الآب عن الإبن، أو أن طبيعـة الإبن أقـل من طبيعـة الآب، أو أن الابن كـان يخـاف الموت والألم. ثم يبدأ في شرح الفكر الخريستولوجي[١٥] السليم بأن يقول إن المسيح كـانـت لـه يـد محييـة تقيم الموتى وتفتح عيني الأعمى، فهـل كـان للألم وللمُسـمار سـلطان على هذه اليد؟ يشـرح القديس هيلاري أن المسـيح بتجسـده وبإرادته الكاملة سمح للألم وللموت أن يكون له دور في الفداء، أي أنه هو الذي سمح، وليس مثل إنســـان عادي يتعرض للألم، بل كان كل شـــيء بإرادته من أجل تدبير الخلاص. إذاً يمكننا أن نفهم أن رأي القديس هيلاري أن هذه الجملة لا تشـير إلى ترك الآب للإبن، بل تشـير بالأكثر إلى تجسـد الإبن. فالقديس هيلاري دائماً ما يرمي إلى أن المسيح فعل كل شـئ بإرادته وهو الذي سمح للألم أن يحدث في جسـده، وبذلك هو الذي قال هذه الجملة بكامل إرادته أيضـاً، وليس لأن الآب فارقه في هذه الساعة، بل إنه حتى هذه اللحظة كان متحداً مع الآب.

[١٥] كلمة خريستولوجي تشير إلى فرع اللاهوت الذي يدرس طبيعة وشخص ودور الكلمة المتجسد.

(‡) كتب القديس أمبروسيوس أسقف ميلان "شرح الإيمان المسيحي" للإمبراطور جراتيان، إمبراطور الغرب الذي أراد أن يحافظ على بلاده من التأثير الفاسد الذي للأريوسيين الذين أصبحت لهم اليد الأقوى في الشرق المسيحي في ذلك الوقت (حوالي ٣٧٨م). وفي هذا الشرح نجد أنه يتكلم عن كثير من الآيات التي يُخاطب المسيحُ فيها الآبَ كإلهه. وتتلخص فكرته عن كل هذه الآيات أن المسيح يتكلم بسبب طبيعته البشرية مخاطباً الآب كإنسان. وقد أورد تحديداً الآية موضع البحث مرتين في هذا الشرح، وفي الكتيب الذي بين يديك، ستجد المرة الأولى؛ حيث أنها احتاجت منه فصلاً كاملاً والذي يحتاج بدوره للمطالعة من أوله لآخره لفهم مضمونها. أما المرة الثانية فهي في الكتاب الثالث، الفصل الرابع عشر حيث ذكرها ضمناً في شرحه عن كيفية دعوة الكتاب المقدس له في المزامير والنبوات كـ "عبد". وفي ذلك قال:

[ما هذا إلا جسده[١٦]، الذي يدعوه الكتاب عبداً، (لأننا) نرى {الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ

[١٦] بمعنى أنه حينما تتكلم النبوات عن المسيح كعبد، فهي تقصد فترة تجسده.

النَّاسِ.}[١٧] لهذا فلأنه أخذ على نفســـه طبيعتي، يكون خادماً، ولكن بالنسبة لقوته الذاتية فهو الرب.]

(‡) أما عن القديس غريغوريوس النزينزي الناطق بالإلهيات، فيمكن أن نلخص فكره كله في جملة قالها ضمن النص المترجَم:

[جاعلاً من حالتنا حالته الخاصة]

وبذلك فإن الذي كان قد تُرك سابقاً هو نحن البشر، أما هو فقد نقل إلى نفســـه هذا الترك. ولكن كيف يَترُكُ الآبُ الابن، أو الابن الآبَ؛ فحال أن نقل إليه حالتنا، أرجعنا إلى بنوة الآب ثانيةً.

(†) نختتم تفاســـير الآباء عن هذه الآية بتفســـير عمود الدين القديس كيرلس الكبير والمذكور في أكثر من كتاب. فهو يشرح في كتابه "المسيح واحد"، في هيئة حوار مع شـــخص رُمز له بحرف B، كيف أن المســـيح الواحد (من الطبيعتين اللاهوتية والناســـوتية) نما في القامة والنعمة وصـــنع

[١٧] فيلبي ٢: ٦،٧

معجزات وتألم ومات. وفيما هو يتكلم عن المسيح الواحد ذكر أيضاً كيف أنه بالتدبير قال: "إلهي إلهي لماذا تركتني" فيقول القديس كيرلس:

[إذا اعتبرنا أن الابن الوحيد تأنس، فهذا الاعتبار هو الذي يجعلنا نفهم لماذا صدرت عنه هذه الكلمات، لأنه صار كواحد منا ونائب عن كل الإنسانية، وقال هذه الكلمات لأن الإنسان الأول تعدى وسقط في عدم الطاعة ولم يسمع الوصية التي أعطيت له وإنما تعداها بمكر الحية، فصار أسيرًا للتعدي ولذلك بكل حق أُخضِعَ للفساد والموت. ولكن الابن صار البداية الجديدة على الأرض ودُعي آدم الثاني. **وكأن الابن الوحيد يقول (للآب): "أنت ترى فيَّ أنا الجنس البشري وقد وصل إلى عدم الخطأ وقدوس وطاهر، فأعطه الآن البشارة المفرحة الخاصة بتعطفك وأزل تخليك، وأنتهر الفساد وليصل غضبك إلى نهايته. لقد غلبت الشيطان نفسه الذي نجح قديما ولكنه لم يجد فيَّ شيئًا يخصَّه"**. هذه معاني كلمات المخلص التي كان يستدعي

بها تعطف الآب، ليس عليه هو، بل على الجنس البشـــري الذي كان يمثله.] [١٨]

هذا وقد ذكر أيضـــاً القديس كيرلس نفس الإيمان في رســـائله للملكات فيقول:

[ماذا يقصـــده، إذن، بقوله: «إلهي إلهي لماذا تركتني»؟! نقول إنه لَمَّا داس أبونا الأول آدم الوصيةَ المعطاة له وتغاضى عن النواميس الإلهية، قد تُرِكَت (هُجِرَت) الطبيعة البشـرية بنوعٍ ما من قِبَل الله، بل وصـارت بسـبب ذلك ملعونةً ومسـتوجبةَ الموت. فلما سـكن الكلمة ابن الله الوحيد العالم بالجســـد ليعيد تشـــكيله إلى عدم الفساد، وأمسك بنسل إبراهيم، وصار مُشابهاً لإخوته (عب ٢: ١٧،١٦)، كان يجب أن يضع حدّاً لهذا "التـــرك" الذي أصاب الطبيعة البشرية، كما وضع حدّاً للّعنة القديمة وللفساد المندس فينا (من الخارج). لذلك بصـــفته واحداً من المتروكين، إذ قد اشـــترك معنا وماثلنا في اللحم والدم، ولأنه كان واحد من هؤلاء الذين

[١٨] القديس كيرلس الكبير، *المسيح واحد*، ترجمة المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، فصل ١١.

هُجروا[١٩]، قال: «لماذا تركتني»؟ فهذا **قول شخص يُبطل بالفعل الترك الذي أصابنا**، ويستميل لنفسه الآب، داعياً رضاه علينا، وكأنه يدعوه على نفسه هو أولاً. فقد صار المسيح لنا بدايةً ومصدراً لجميع الخيرات، وكل ما قيل إنه ينال بصفته البشرية شيئاً من الآب، فذلك لكي يُوصِّله لطبيعتنا نحن. أما هو في ذاته فكامل ولا يُعوزه شيء قط، إذ هو الله.][٢٠]

وبذلك نرى تفسير كبار آباء الكنيسة أن ربنا يسوع أخذنا في جسده وصرخ بنا هذه الصرخة التي كان يجب أن نصرخها نحن، ولأنه لا يمكن أن يتركه الآب، فتمت المصالحة وبَطُلَ الترك القديم ونلنا كل ما ناله المسيح بصفته البشرية من الآب.[٢١]

---

[١٩] أي أنه حُسِبَ واحد ضمن البشر

[٢٠] القديس كيرلس الكبير، *الإيمان القويم إلى الملكات*، ترجمة المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، المقالة الثانية التوضيحية عن الإيمان المستقيم للملكات. ١٨.

[٢١] وجب التنويه أن القديس أغسطينوس في أغلب كتاباته بخصوص هذه الآية ينضم إلى هذه الجماعة من الآباء المفسرين.

كيف يشرح آباء الكنيسة آية:

"إلهي إلهي لماذا تركتني؟" (مت ٢٧:٤٦ ومر ١٥: ٣٤)

النصوص المترجمة

العلامة ترتليان: ضد براكسياس، الفصل الثلاثون[٢٢]

فإنك (يا براكسياس) تراه يصرخ في وسط آلامه: "إلهي إلهي، لماذا تركتني؟" فإنه إما أن الابن تألم حيث تُرِكَ من الآب، وبالتالي فإن الآب لم يتألم بشيء، وذلك لأنه تَرك الابن؛ أو إذا كان الآب هو الذي تألم، فإذاً إلى أي إله وَجَّهَ الابن صراخه؟ ولكن هذا كان صوت الجسد والنفس (البشرية)، أقصد الإنسان، وليس صوت الكلمة والروح (القدس) أقصد أنه ليس صوت الله. وقد نُطِقَت (هذه العبارة) حتى تُثبِت عدم إمكانية تألم الله (الآب)، الذي "تَركَ" ابنه، إلى درجة أنه سَلَّمَ طبيعته البشرية إلى ألم الموت. هذه الحقيقة أدركها الرسول (بولس) أيضاً: "إن الآب لم ينجي

[22] Tertullian, ANF03, *Anti Marcion;* VII. Against Praxeas, Ch. XXX, pg. 626, 627

ابنه[٢٣]". وهذا قد أدركه أيضاً إشعياء من قَبْلِهِ حينما أعلن: "والرب قد سَلَّمَه من أجل تعدياتنا[٢٤]". ففي هذا السياق قد تركه (ترك الآب الابن)، في (سياق) عدم إنقاذه؛ تركه في (سياق) تسليمه. أما في كل النواحي الأخرى، لم يترك الآب الابن، لأنه بين يدي الآب قد استودع الابن روحه[٢٥]. وبالفعل بعد أن استودعها، مات فوراً؛ ولأن الروح (الروح القدس) بقيت في الجسد، فإن الجسد لم يخضع خضوعاً كاملاً للموت، أقصد الفساد والتحلل. ولذلك، فلكي يموت الابن، كان يجب أن يبلغ كيانه هذا الترك من الآب. فالابن، إذاً، مات وقام أيضاً طبقاً للكتب المقدسة.

---

[٢٣] نص الآية بحسب الترجمة البيروتية التي بين أيدينا: " اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ" (رو ٨: ٣٢)

[٢٤] نص الآية بحسب الترجمة البيروتية التي بين أيدينا: " وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا" (إش ٥٣: ٥)

[٢٥] لو ٢٣: ٤٦

العلامة أوريجانوس[٢٦]

بعض الناس بدافع الشفقة على يسوع، لأنهم لا يستطيعون أن يشرحوا كيف يمكن أن يُترك المسيح من الله، يؤمنون أن هذا القول من على الصليب كان فقط كتعبير عن الاتضاع. ولكننا، نحن الذين نَعلَّم أنه كان في "صورة الله"[٢٧] نزل من عظمته وأخلى ذاته آخذا صورة عبد[٢٨]، وذلك كإرادة الذي أرسله، (لذلك) افهم أنه بالفعل قد تُرِكَ من الآب بقدر ما أنه كان الإله غير المرئي وصورة الآب، إلا أنه أخذ شكل العبد. لقد تركه الآب ليشارك البشر عملهم حتى الموت، موت الصليب[٢٩]، العمل الذي يظهر أنه مخزي لجميع الناس. لذلك فقد كانت قمة الترك (الإخلاء) عندما صلبوه وكتبوا على رأسه الكلام الازدرائي "هذا هو يسوع، ملك اليهود"[٣٠]، كانت قمة تركه عندما صلبوه بين لصوص، وكل من كان يمر به كان يجدف عليه ويحرك الرأس.[٣١] رؤساء الكهنة والكتبة قالوا: "خلص

---

[26] Oden, T. C. (1998). Ancient Christian commentary on Scripture. Downers Grove, Ill: InterVarsity Press. 135

[٢٧] في ٢: ٦
[٢٨] في ٢: ٧
[٢٩] فل ٢: ٨
[٣٠] متى ٢٧: ٣٧
[٣١] متى ٢٧: ٣٩

آخرين، أما نفســه فلم يقدر أن يخلصــها[٣٢]". حتى اللصــوص في ذلك الوقت كانا يعيرانه عل الصليب. يمكنك إذا بوضوح أن تفهم عبارة "لماذا تركتني؟" عندما تقارن بين مجد المســيح مع الآب، والازدراء الذي احتمله على الصليب.

القديس أغسطينوس

تعليق على مزمور ٣٨ من مزامير الكتاب المقدس[٣٣]

"لا تتركني يا رب. يا إلهي، لا تبعد عني"(مز ٣٨ :٢١) دعونا نتكلم فيه، لنتكلم من خلاله {لأنه هو نفسه يشفع فينا}، ودعونا نقول: "لا تتركني أيها الرب إلهي" وحتى هو نفسه قال: "إلهي إلهي، لماذا تركتني؟" وهو الآن يقول: "يا إلهي لا تتركني". فإذا لم يترك (الله الآب) الجسـد، فهل سـيترك الرأس؟ لمن إذاً هذه الكلمات غير الإنســان الأول؟ فلكي يُظهر إذا أنه

[٣٢] متى ٢٧: ٤٢

[33] St. Augustin, *Exposition on the Book of Psalms,* NPNF108, Psalm XXXVIII (Lat. XXXVII) Pg. 111

(المسيح) حَمَلَ جسداً حقيقياً منه (من آدم) يقول: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" (ولكن) الله لم يتركه. فلو أنه (الله) لم يتركَ (أنت) الذي تؤمن به، فهل سيقدر الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، أن يتركوا المسيح؟ ولكنه (الابن) نقل إلى نفسه شخص الإنسان الأول. نحن نعلم عن طريق كلمات الرسول "أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ."، ومع ذلك لا يصح أن نتجرد من طبيعتنا القديمة، حيث أنه صُلب "في الضعف". لأنه لأجل هذه الغاية أتي، حتى أننا نتجدد فيه، لأنه عن طريق السعي وراءه، واتباع مثال آلامه نتجدد. لهذا كانت هذه هي صرخة الوهن، هذه الصرخة، أعني، التي قيلت "لماذا تركتني؟". ومن ثَمَّ قد قيلت في القطعة السابقة "كلام زفيري بعيد عن خلاصي"، وكأنه يقول "إن هذه الكلمات نُقلت إلى شخصي من ذلك الخاطئ".

تعليق على مزمور 50 من مزامير الكتاب المقدس[٣٤]

لأن الرب نفسه حين جاء، ولأنه جاء لكي يتألم، فقد جاء مُخفياً. وبالرغم من أنه كان قوياً بذاته، إلا أنه ظهر ضعيفاً في الجسد. لأنه كان يحتاج

[34] St. Augustin, *Exposition on the Book of Psalms*, NPNF108, Psalm L (Lat. XLIX) Pg. 179

بالتأكيد لهيئة حتى لا يُدرَك (كإله)، وأن يُزدرى به حتى يُذبَح. كان هناك مظهراً للمجد في الألوهية، ولكنه (المظهر) سُـتر في الجسـد. " لأَنهُمْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ ". إذا فقد سار مَخفياً بين اليهود وبين أعدائه، يصـنع المعجزات (للذين عـانوا من الأمراض والعلـل)، حتى عُلق على الشـجرة، واليهود ازدروه أكثر وهم شـاخصـين نحوه، وأمام الصـليب حركوا رؤوسهم قائلين: " إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ". مَخفياً إذاً كان إله الآلهة، وأعطى كلمات بدافع الشـفقة علينا أكثر من كونها خارجة من جلاله. فمن أين، إلا إذا افترضـنا أنها منا، كانت هذه الكلمات: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" لأنه متى ترك الآبُ الابن، أو الابن الآبَ؟ أليس الآب والابن إله واحد؟ فمن أين إذاً "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" إلا أن جسـد الضـعف قد أقر بها من خلال صـوت الخاطئ؟ لأنه (الابن) قد أخذ فيه شـبه جسـد الخطية، فلماذا لا يأخذ أيضـاً صـوت الخطية؟ مَخفياً إذاً كان إله الآلهة حينما مشـي بين الناس وحينما جاع وحينما عطش، وحينما تعب جلس، وحينما أُنهك جسده نام، وحينما قُبض عليه، وحينما جُلدَ، وحينما وقف أمام قضاة، وحينما جاوب كبرياءه (بيلاطس): "لَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيَّ سُـلْطَانٌ الْبَتَّةَ، لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ فَوْقُ"، وبينما اقتيد "كَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ"، وعندما صُلب وعندما قُبر،

كان دائماً إله الآلهة المخفي. ماذا حدث بعد أن قام مجدداً؟ التلاميذ تعجبوا، لم يصدقوا في البداية، حتى لمسوا وتعاملوا. ولكن الجسد قام، لأن الجسد قد كان ميتاً، فالألوهة (اللاهوت) التي لا يمكن أن تموت، لازالت موجودة ومخفية في جسده القائم.

يوستين الشهيد في حواره مع تريفو[٣٥].

الفصل الثامن والتسعون

سأعيد المزمور كله حتى تسمعوا **تبجيله** للآب (تبجيل الإبن للآب) وكيف ينسب له كل الأشياء. كما كان يُصلِّي أن ينقذه من هذه الميتة مُعلناً في المزمور من هم الذين يقاومونه، **موضحاً أنه بالحقيقة صار إنساناً قابلاً للألم**. وها هي كلمات المزمور. {ثم يذكر نص المزمور ٢٢}

[35] Justin Martyr, *Dialogue with Trypho*, ANF01, Chapter XCVIII & XCIX, pg. 248

الفصل التاسع والتسعون

وعندما أنهيت هذه الكلمات، استطردت قائلاً: "والآن سأشرح لكم أن المزمور كله يشير إلى المسيح عن طريق الكلمات التي سأشرحها مجدداً. ما قيل في البداية: "إلهي إلهي، استمع إليَّ. لماذا تركتني؟" أعلن منذ القِدَم ما كان المسيح مزمعًا أن يقوله. فقد صرخ وهو على الصليب قائلا: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" والآيات التي تليها "كلام زلاتي بعيد عن خلاصي. إلهي في النهار أصرخ إليك، فلا تستجيب لي، وفي الليل، ولم يكن ذلك جهل مني."[٣٦] هذه قيلت مثلها مثل بقية الأمور التي كان سيصنعها. إذ إنه في اليوم الذي صُلِب فيه، أخذ ثلاثة من تلاميذه إلى جبل الزيتون قبالة هيكل أورشليم وصلى هكذا: "يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس" ثم أيضاً صلى قائلاً: ولكن ليس كما أريد بل كما تريد أنت[٣٧]" **موضحًا أنه قد صار بالحقيقة إنسانًا مُعرَّضًا للألم.** ولكن لئلا يقول أحد أنه لم يكن يعرف في ذلك الحين أنه سيتألَّم يضيف على الفور في المزمور: "ولم يكن ذلك جهل مني." كما أنه ليس بسبب عدم المعرفة أن الله قد

[٣٦] الجملة الأخيرة من الاقتباس من المزمور موجودة في النص اليوناني والقبطي. وهذه الترجمة موجودة في توزيع قداس سبت الفرح.
[٣٧] مت ٢٦: ٣٩

سأل آدم "أين أنت؟[٣٨]" وسأل قايين "أين هابيل؟[٣٩]" ولكن (كانت هذه الأسئلة) لكي يُظهِر لكل واحد منهم معدنه الحقيقي، ويعرفنا كل شيء من خلال كتابه المقدس؛ ولذا أوضح المسيح أن الجهل ليس عنده بل عند هؤلاء الذين رفضوا الإيمان بأنه المسيح وظنوا أنهم يقدرون أن يميتوه وبالتالي سوف يبقى في الجحيم كإنسان عادى.

القديس يوحنا ذهبي الفم

عظة على انجيل متى الإصحاح ٢٧[٤٠]. يتحدث القديس يوحنا ذهبي الفم في هذه العظة عن الآيات من ٤٥ إلى ٤٨ من انجيل متى الإصحاح ٢٧، وهي الآيات التي تصف حدوث الظلمة على الأرض وقول المسيح "إلهي إلهي لماذا تركتني؟".

هذه إذا هي العلامة التي وعد أن يعطيها لهم عندما سألوه، فقال: "جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. " وهو يقصد صليبه، وموته، وقبره، وقيامته. ثم مجدداً يُعلن بطريقة آخري

---

38 تك ٣: ٩

39 تك٤: ٩

40 St. Chrysostom, *Homily LXXXVIII*, NPNF110, Pg. 501, 502

استقامة غرض الصليب حيث قال: " مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ، فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ "، وما قاله كان لهذا المغزى (كأنه يقول): "عندما تصلبونني، ستظنون أنكم تغلبتم علي، ولكنكم ستعرفون قوتي".

لأن المدينة، بعد الصليب، قد تحطمت؛ وانتهت دولة اليهود، وسقطت سيادتهم وحريتهم، وازدهرت البشارة، وانتشرت الكلمة إلى أقصى العالم، (عن طريق) كلاً من البحر والبر، وفي كلاً من الأرض المأهولة والصحاري، مُستمرةً في اعلان قوته. فهذه إذاً هي الأمور التي قصدها، و(هي) تلك التي حدثت في وقت الصلب تحديداً. لأنه بالفعل كان أمر مثير للعجب أن هذه الأمور وجب أن تحدث عندما سُمّرَ على الصليب، (أكثر ملائمة) من أن تحدث عندما كان يمشي على الأرض. وليس العجب في هذا فقط، إنما من السماء أيضاً حدث هذا الذي بحثوا عنه[٤١]، وكان على كل العالم وهو الأمر الذي لم يحدث مسبقاً، بل قد حدث في مصر فقط، حينما تُمم الفصح، لأن هذه الأمور هي ظل تلك.

ولاحظ أيضاً متى حدث هذا الأمر. في منتصف النهار، حتى أن كل من سكن الأرض يقدر أن يعرف، حيث كان نهاراً على كل الأرض؛ والذي

[٤١] يقصد الظلمة

كان قادراً على تغييرهم، ليس فقط بسبب عظمة المعجزة، ولكن أيضاً بسبب حدوثها في الزمن المناسب. لأنه بعد كل اهاناتهم وسخريتهم غير القانونية، حدث هذا، حينما انهوا كل غضبهم، وحينما أبطلوا التعيير، حينما أُتخموا من سخريتهم، وتكلموا بكل ما في أذهانهم؛ حينئذ أظهر (المسيح) لهم الظلمة، حتى أنهم على الأقل، وبعد أن نفّسوا عن غضبهم، يستفيدوا من المعجزة. لأن هذا كان يستحق العجب أكثر من لو كان نزل من على الصليب، حيث أنه بكونه على الصليب، فهو الذي صنع هذه الأمور. لأنهم سواء فكروا أنه هو نفسه الذي صنع هذه، لكان يجب عليهم أن يصدقوا أو يخافوا، أو إذا لم يكن هو، بل الآب، لوجب أن يتحرك فيهم الندم، لأن هذه الظلمة كانت علامة غضبه على جريمتهم. لأن هذا لم يكن خسوفاً، ولكن غضب وسخط؛ ولم يكن ذلك واضحاً وحده فقط، بل أيضاً (واضحاً) من خلال الزمن، لأنها (الظلمة) استمرت ثلاث ساعات، ولكن الخسوف يأخذ لحظة من الزمن، وهم يعرفون ذلك، الذين رأوا هذه؛ وبالفعل قد حدث هذا حتى في جيلنا.

ولكنك يمكن أن تقول كيف لم يصنع كل المعجزات، و(مع ذلك) نعده إلها؟ لأن جنس البشر كان مقبوض عليه في حالة عظيمة من اللامبالاة

والرذيلة. وهذه المعجزة لم تكن إلا واحدة، وعندما تحدث ستعبر فوراً، ولن يهتم أي واحد أن يستفسر عن سببها، (لأن) التعصب والفجور تعاظما جداً. فلم يعرفوا سبب حدوث هذا (الظلام)، وقد ظنوا أنه ربما قد حدث هذا (الظلام) هكذا مثل خسوف أو ظاهرة طبيعية. ولماذا لا تتعجب منهم، الذين لا يعرفون شيئاً، ولا استفسروا بسبب اللامبالاة العظيمة، الذين كانوا في اليهودية نفسها، وبعد كل المعجزات الكثيرة، ومع ذلك عاملوه هكذا، بالرغم أنه أظهر لهم بوضوح أنه هو نفسه الذي صنع هذه.

من أجل هذا السبب، حتى بعد أن تكلم لكي يعرفوا أنه مازال حياً، أنه صنع هذه بنفسه، حتى يكونوا هم أكثر لطفاً، قال: "إيلي، إيلي، لما شبقتني؟" حتى أنهم يروا أنه للنفس الأخير يُكرِم والده، وأنه ليس خصماً لله. لأجل ذلك أطلق صياحاً معيناً من النبي[٤٢]، حتى ساعته الأخيرة ظل حاملاً الشهادة للعهد القديم، وليس ببساطة صراخ النبي، بل أيضاً بالعبرية، حتى يكون واضح ومفهوم لهم؛ وعن طريق كل الأشياء أظهر كيف أنه له نفس فكر أبيه.

[٤٢] مزمور ٢٢: ١

ولكن لاحظ هنا أيضاً فسقهم واسرافهم وحماقتهم. لقد ظنوا أنه ينادي إيليا، وفوراً أعطوه خلاً لكي يشرب. ولكن جاء آخر إليه، وطعن جنبه بحربة. ماذا يمكن أن يكون أكثر فوضوية، أكثر وحشية، من هؤلاء الرجال الذين أخذوا جنونهم إلى أقصى الحدود، وصنعوا اهانات للنهاية حتى إلى جسد ميت؟

القديس أمبروسيوس

الفصل الرابع عشر من كتابه الأول عن شرح الإيمان[٤٣].

كما أعتقد، فقد صار من الواضح الآن لجلالتك المقدسة[٤٤] (المكَرَّمة) إن الرب يسوع ليس غير مشابه للآب، ولا بَدَءَ وجوده في الزمن. ولكن مازال علينا أن نفند تجديفاً آخر، وأن نُظهر أن ابن الله ليس كائناً مخلوقاً. ها هي الكلمة النشيطة[٤٥] والتي نقرأها لتساعدنا، لأننا قد سمعنا العبارة

[43] St. Ambrose, *Exposition of the Christian Faith,* NPNF210, 1.14.86-92, pg. 215- 217

[44] sacred Majesty

[٤٥] يقصد المملوءة حياة

التي يقول فيها الرب: "وَقَالَ لَهُمُ: «اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا."[٤٦] فهذا الذي يقول: "للخليقة كلها" لا يستثني شيئاً. كيف، إذاً، يفهم هؤلاء الذين يدعون المسيح "مخلوقاً"؟ لو كان مخلوقاً، فهل كان يقدر أن يأمر أن يُبَشَر هو نفسه بالإنجيل؟ لذلك، فهو ليس مخلوقاً، بل الخالق، ذاك الذي يسلم لتلاميذه عمل التعليم (التبشير) للمخلوقات. المسيح، إذاً، ليس كائناً مخلوقاً؛ لأن الرسول يقول عن "الكائنات المخلوقة": "إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ"[٤٧]، فهل أُخضِعَ المسيح لِلْبُطْلِ؟ وأيضاً عن "الخليقة" يقول نفس الرسول: "تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ."[٤٨] فماذا إذاً؟ هل للمسيح أي مشاركة في هذا الأنين والتَمَخُّضُ، هذا الذي حررنا من الموت نحن الباكين البؤساء؟ "الخليقة" يقول الرسول " سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ"[٤٩]. نرى إذاً أنه بين الخليقة وربها فارقاً هائلاً، لأن الخليقة مُستَعبَدة، ولكن "الرَّبُّ فَهُوَ الرُّوحُ، وَحَيْثُ رُوحُ الرَّبِّ هُنَاكَ حُرِّيَّةٌ"[٥٠]

---

[٤٦] مر ١٦: ١٥
[٤٧] رو ٨: ٢٠
[٤٨] رو ٨: ٢٢
[٤٩] رو٨: ٢١
[٥٠] ٢ كو ٣: ١٧

من هو ذاك الذي قاد أولاً إلى هذا الضـــلال، معلناً أن ذاك الذي خَلَق وصنع كل الأشياء، يكون مخلوقاً؟ سأتساءل: هل الرب يخلق نفسه؟ نقرأ أن " كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ."[٥١]، فإذا كان الأمر هكذا، فهل صنع نفسه؟ نقرأ –ومن يمكنه الإنكار! – أن بالحكمة صنع الله كل الأشـياء[٥٢]. إذاً، كيف يمكننا أن نفترض أن الحكمة قد صُـنعت بنفسها؟

نقرأ أن الابن مولود، حســـب ما يقوله الآب: "من البطن قبل كوكب الصـــبح ولدتك."[٥٣] نقرأ عن "الابن البكر[٥٤]" والوحيد[٥٥]": الابن البكر لأنه ليس هناك واحداً قبله؛ والابن الوحيد لأنه ليس هناك واحداً بعده. نقرأ أيضـــاً: " وَفِي جِيلِهِ (ميلاده)[٥٦] مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ

---

[٥١] يو ١: ٣

[٥٢] مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ! كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ. (مز ١٠٤: ٢٤)

[٥٣] الترجمة الذي يستخدمها القديس أمبروسيوس هي الترجمة السبعينية ونجد أن ترجمة الآية في الأجبية القبطية تطابقها (مز ١٠٩ صلاة الساعة التاسعة)، أما الآية في الكتاب المقدس الذي بين أيدينا (الترجمة البيروتية): "فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ مِنْ رَحِمِ الْفَجْرِ" (مز ١١٠: ٣)

[٥٤] ٢كو ١: ١٥

[٥٥] يو ١: ١٤

[٥٦] يفهم القديس أمبروسيوس كلمة "جيله" من الترجمة السبعينية. فالكلمة اليونانية γενεὰ تعني عدة معاني: (١) ميلاد، (٢) أقرباء (تكوين ٣١: ٣)، (٣) جيل من

الأَحْيَاءِ."[٥٧] لاحظ "ميلاده" وليس "خلقته". أي جدال يمكن أن يقف ليقابل استشهادات عظيمة وقوية كهذه؟

علاوة على ذلك أن ابن الله يكشف الفرق بين الميلاد والنعمة[٥٨] حين يقول: "إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ"[٥٩]. لم يقل: "إني صاعد إلى أبينا" بل "إني صاعد إلى أبي وأبيكم." هذا التمييز هو علامة الاختلاف بحسب ما يكون ذاك هو أب المسيح، فهو يكون خالقنا. إضافةً إلى ذلك يقول: "إلهي وإلهكم"، لأنه وبالرغم من أنه (المسيح) وأبيه هم واحد، وبالرغم من أن الآب هو أبيه لكونهم من نفس الطبيعة، وقد بدأ الله أن يصير أباً لنا –بالنعمة وليس بالطبيعة– من خلال عمل الابن، (لكنه) مازال يُظِهر أنه يشير الينا هنا لوجود الطبيعتين في المسيح: الألوهة (اللاهوت) والإنسانية (الناسوت)؛ لاهوت أبيه، وناسوت أمه، الأول (اللاهوت) كائن قبل كل الأشياء، والأخير (الناسوت) مأخوذ من

الرجال الذين يعيشون في نفس الزمن (متى ٢٤: ٣٤)، (٤) جيل بمعنى فترة زمنية من ٣٠ إلى٣٣ عام (Thayer Greek-English Lexicon of the NT). فالكلمة هنا يمكن أن تشير إلى ميلاده، وبهذا يستقيم معنى كلامه.

[٥٧] إش ٥٣: ٨

[٥٨] نعمة التبني

[٥٩] يو ٢٠: ١٧

العـذراء. لأن الأول، متكلمـاً كـابن، دعى الله أبيـه، وبعـد ذلـك تكلم كإنسان، دعاه إله.

وفي كل موضـع بالفعل نلاحظ أن الكتب المقدسـة أظهرت أن المسـيح، أثناء دعوته لله كإلهه، يفعل هذا كإنســـان. " إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟" وأيضاً: " مِنْ بَطْنِ أُمِّي أَنْتَ إِلهِي."[٦٠]. ففي موضع الأول يعاني كإنسان، وفي الأخير (يتكلم عن) الإنســـان الذي وُلدَ من رحم أمه. ولذلك فإنه حينما يقول: "مِنْ بَطْنِ أُمِّي أَنْتَ إِلهِي" فإنه يقصـــد أن هذا الذي كان دوماً والده يكون إلهه من اللحظة التي وُلد من بطن أمه.

[٦٠] مز ٢٢: ١٠

العظة اللاهوتية الرابعة (والثانية بخصوص أقنوم الإبن)[٦١]

إنه من أجلي قد دُعي لعنة[٦٢] ذاك الذي رفع خطية العالم؛ وأصبح آدم الجديد[٦٣] ليحل محل القديم، حتى يأخذ عصياني إليه كرأس للجسد الكامل[٦٤]. إذاً فعلى قدر ما أنا عاصي ومتمرد عن طريق إنكار الله وعن طريق شهواتي، على قدر ما دُعي المسيح عاصياً من أجلي. ولكن حينما أُخضع الكل له[٦٥]، بواسطة تسليمهم له (إدراكهم له) من ناحيةٍ، وبواسطة تجديدهم من ناحية أخرى[٦٦]، فحينئذ سيتمم (المسيح) خضوعه، مُحضِراً إياي –أنا الذي قد خلصني — إلى الله. لأن هذا، طبقاً لرؤيتي، هو خضوع المسيح؛ أعني تتميم إرادة الآب. ولكن كما يُخضع الابن الكل

---

[61] St. Gregory Nazianzen, *The Fourth Theological Oration,* NPNF207, pg. 311

[٦٢] غل ٣: ١٣

[٦٣] ١ كو ١٥: ٤٥

[٦٤] أي أن المسيح عندما أصبح رأسنا الجديد وحل محل آدم القديم، أخذ خطايانا ومعصيتنا وجعلها مسئوليته لتطهيرنا، لأنه هو رأسنا ونحن جسده.

[٦٥] ١كو ١٥: ٢٧

[66] But when all things shall be subdued unto Him on the one hand by acknowledgment of Him, and on the other by a reformation...

للآبِ، هكذا يصـــنع الآبُ للإبنِ؛ الواحد (أي الابن) بصـــنيعه والآخر (أي الآب) بمسرته، كما قد قلنا سابقاً. ومن ثَمَّ، فإن الذي يُخضِع، يُقدِم لله ما قد أَخضعه، **جاعلاً من حالتنا حالته الخاصة**. وفي نفس السياق، يظهر لي تعبير: "إلهي إلهي، لماذا تركتني؟" لأنه لم يكن هو الذي تُرك، لا من الآب ولا من ألوهيته، كما ظن البعض، وكأنه كان خائفاً من آلامه، وبالتالي انســـحبت (الألوهية) منه في معاناته! لأنه مَن أجبره حتى يولد على الأرض من الأســاس، أو أن يُرفع على الصــليب؟ ولكن كما قلت، فإنه في شخصه الخاص كان يمثلنا. لأننا كنا قد تُركنا ورُفضنا قبلاً، ولكن الآن عن طريق آلامه ذاك الذي لم يمكن أن يتألم، رُفعنا وأُنقذنا. وبالمثل، جَعَلَ لنفســه حماقتنا وتعدياتنا؛ ويقول ما يلي (المكتوب) في المزمور، لأنه من واضح جداً أن المزمور الحادي والعشرين[٦٧] يشير إلى المسيح.

[٦٧] يختلف ترقيم المزامير بين الترجمات المختلفة للكتاب المقدس، وهو هنا يقصد المزمور ٢٢ في الترجمة العربية الحالية المتاحة بين أيدينا.

صدر من سلسلة إيمان الكنيسة حول آية

١. صَانِعُ السَّلاَمِ وَخَالِقُ الشَّرِّ.
٢. وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ.
٣. إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟

والمجد لله على كل شيء